

## حَقِيقَةُ النَّسْكِ وَالضَّحَايَا فِي الْإِسْلَامِ

«يَا عِبَادَ اللَّهِ.. فَكَّرُوا فِي يَوْمِكُمْ هَذَا يَوْمِ الْأَضْحَى، فَإِنَّهُ أَوْدِعَ أَسْرَارًا لِأُولِي النَّهْيِ. وَتَعَلَّمُونَ أَنَّ فِي هَذَا الْيَوْمِ يُضْحَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْعَحْمَاوَاتِ، وَتُنْحَرُ آبَالٌ مِنَ الْجَمَالِ وَخَنَاطِيلٌ مِنَ الْبَقَرَاتِ، وَتُذْبِحُ أَقَاطِيعٌ مِنَ الْعِغَمِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ رَبِّ الْكَاتِبَاتِ. وَكَذَلِكَ يُفْعَلُ مِنْ ابْتِدَاءِ زَمَانِ الْإِسْلَامِ، إِلَى هَذِهِ الْأَيَّامِ....»

وَقَدْ غَدَّ هَذَا الْعَمَلُ فِي مِلَّتِنَا مِمَّا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَحُسِبَ كَمَطِيئَةٍ تُحَاكِي الْبِرْقَ فِي السَّيْرِ وَالْمَعَانَةِ. فَلَأَجَلِ ذَلِكَ سُمِّيَ الضَّحَايَا قُرْبَانًا، بِمَا وَرَدَ أَنَّهَا تَزِيدُ قُرْبًا وَلُفْيَانًا كُلِّ مَنْ قَرَّبَ إِخْلَاصًا وَتَعَبُّدًا وَإِيمَانًا. وَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ نُسُكِ الشَّرِيعَةِ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ بِالنَّسِيبَةِ. وَالنُّسُكُ الطَّاعَةُ وَالْعِبَادَةُ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَكَذَلِكَ جَاءَ لَفْظُ النَّسْكِ بِمَعْنَى ذَبْحِ الدَّبِيحَةِ، فَهَذَا الْإِشْتِرَاكُ يَدُلُّ قَطْعًا عَلَى أَنَّ الْعَابِدَ فِي الْحَقِيقَةِ، هُوَ الَّذِي ذَبَحَ نَفْسَهُ وَفُؤَاهُ، وَكُلَّ مَنْ أَصْبَاهُ، لِرِضَى رَبِّ الْخَلِيقَةِ. وَذَبَّ الْهُوَى، حَتَّى تَهَافَتَ وَأَنْمَحَى، وَذَابَ وَغَابَ وَاخْتَفَى. وَهَبَّتْ عَلَيْهِ عَوَاصِفُ الْفَنَاءِ، وَسَفَّتْ دَرَاتِهِ شَدَائِدُ هَذِهِ الْهُوَجَاءِ.

وَمَنْ فَكَّرَ فِي هَذَيْنِ الْمَفْهُومَيْنِ الْمُشْتَرَكَيْنِ، وَتَدَبَّرَ الْمَقَامَ بِنَيْقُظِ الْقَلْبِ وَفَتْحِ الْعَيْنَيْنِ، فَلَا يَنْقُصُ لَهُ خَفَاءٌ وَلَا مِرَاءٌ، فِي أَنَّ هَذَا إِيْمَاءٌ، إِلَى أَنَّ الْعِبَادَةَ الْمُنْجِيَةَ مِنَ الْخَسَارَةِ، هِيَ ذَبْحُ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ، وَنَحْرُهَا بِمُدَى الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ ذِي الْآلَاءِ وَالْأَمْرِ وَالْإِمَارَةِ، مَعَ تَحَمُّلِ أَنْوَاعِ الْمِرَارَةِ، لِتَنْجُو النَّفْسُ مِنْ مَوْتِ الْعُرَارَةِ. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْإِسْلَامِ، وَحَقِيقَةُ الْإِنْقِيَادِ التَّامِّ. وَالْمُسْلِمُ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُ نَحَرَ نَاقَةَ نَفْسِهِ وَتَلَهَا لِلْجَبِينِ، وَمَا نَسِيَ الْحَيْنَ فِي حِينٍ.

فَحَاصِلُ الْكَلَامِ.. أَنَّ النَّسْكَ وَالضَّحَايَا فِي الْإِسْلَامِ، هِيَ تَذَكِيرَةٌ لِهَذَا الْمَرَامِ، وَحَثٌّ عَلَى تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقَامِ، وَإِلْتِهَاصِ لِحَقِيقَةِ تَحْصُلِ بَعْدَ السُّلُوكِ التَّامِّ. فَوَجِبَ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ كَانَ يَتَّبِعِي رِضَاءَ اللَّهِ الْوُدُودِ، أَنْ يَفْهَمَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَيَجْعَلَهَا عَيْنَ الْمَقْصُودِ، وَيُدْخِلَهَا فِي نَفْسِهِ حَتَّى تَسْرِي فِي كُلِّ دَرَّةٍ الْوُجُودِ، وَلَا يَهْدَأُ وَلَا يَسْكُنُ قَبْلَ آدَاءِ هَذِهِ الضَّحِيَّةِ لِلرَّبِّ الْمَعْبُودِ، وَلَا يَقْنَعُ بِنُمُودِجٍ وَقَشْرِ كَالْجُهْلَاءِ وَالْغُمَيَّانِ، بَلْ يُؤَدِّي حَقِيقَةَ أَضْحَاتِهِ، وَيَقْضِي بِجَمِيعِ حَصَاتِهِ، وَرُوحَ تَقَاتِهِ. رُوحَ الْقُرْبَانِ. هَذَا هُوَ مُنْتَهَى سُلُوكِ السَّالِكِينَ، وَغَايَةُ مَقْصَدِ الْعَارِفِينَ، وَعَلَيْهِ يَحْتَسِمُ جَمِيعُ مَدَارِجِ الْأَتْقِيَاءِ، وَبِهِ يَكْمُلُ سَائِرُ مَرَاحِلِ الصَّادِقِينَ وَالْأَصْفِيَاءِ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي سَيْرُ الْأَوْلِيَاءِ.

(مقتبس من كلام سيدنا مرزا غلام أحمد الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. الخزان الروحانية، ج ١٦ ص ٣١-٣٢)